Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد حددهما بقوله : « أنا أقول ـ أيدك الله ـ إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان . ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والأعرابي والمولد ، إلا أنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر . فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية ولا طريق للرواية إلا السمع ، وملاك الرواية الحفظ وقد كانت العرب تروي وتحفظ ويعرف بعضها برواية شعر بعض . كما قيل : أن زهيراً كان راوية أوس وان الحطيئة راوية زهير وان أبا ذُؤيب راوية ساعدة بن جويرية . فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم وكان عبيد راوية الأعشى ولم تسمع له كلمة تامة كما لم يسمع لحسين راوية جرير ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، والسائب راوية كثير . غير أنها كانت بالطبع أشد ثقة وإليه أكثر استئناساً وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان وإنها سواء في المنطق والعبارة وإنما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة ثم تجد الرجل منها شاعراً مفلقاً وابن عمه وجار جنابه ولصيق طنبه مفحماً ، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر والخطيب أبلغ من الخطيب فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة ؟ وهذه أمور عامة في جنس البشر لا تخصيص لها بالأعصار ولا يتصف بها دهر دون دهر » . (١)

وملاك الأمر عنده في الشعر « ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع وتجنب الحمل عليه والعنف به » ولا يعنى بهذا كل طبع « بل المهذب الذي قد صقله الأدب وشحذته الرواية وجلته الفطنة وألهم الفصل بين الرديء والجيد وتصور أمثلة الحسن والقبح » . (٢)

ويرى الأستاذ خلف الله أن بناء الجمال الشعري على عنصر الطبع وتحكيم

(١) الوساطة ص ١٥ ـ ١٦ .
(٢) الوساطة ص ٢٥ .